الباب الثانى

أجسام الإنسان والعلاقة بين الروح والنفس

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الولادة والموت

لقد تساءل الكثيرون من الفلاسفة والشعراء على مر عصور التاريخ الإنسانى عن المكان الذى جاءوا منه، وانتهى أغلبهم إلى مجيئهم من عالم مجهول وتوليهم بعد انتهاء حياتهم على الأرض إلى عالم مجهول أيضًا.. وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة الكهف].

ومما يظهر لنا مدى تعلق الإنسان بالحياة المتكررة وعشق روحه للخلود واللاموت **ما ذهب إليه بعض المفكرين والفلاسفة فى البحث عن حيوات سابقة لهم على الأرض مثلما نادت به نظرية التناسخ**، وعلى قدر خطأ هذه النظرية وعدم جدواها إلا أننا نوافق فقط على ما أكدته من عشق روح الإنسان للخلود ولكن بعد ذهاب الجسد والانتقال إلى الحياة الآخرة وليس بالطريقة التى تتكلم عنها النظرية من الولادة على الأرض من جديد.. فهذا هو الخطأ البحت، إذ كان أولى بهذا الإنسان وهو هنا على الأرض ولا يتذكر شيئًا عن حيواته السابقة المزعومة – أن يفكر فى حياته الحاضرة ويعمل ما أمره به خالقه عز وجل من عمل صالح ينفعه فى حياته المقبلة بعد موته وأن يعى أنه ما خلق إلا لعبادة العلى القدير وأنه فى هذا الإطار يمر باختبار أرضى يؤهله للارتقاء والسمو للتكيف مع حياته المقبلة.

وقد يعنينا بالدرجة الأولى هنا هذا البحث عن الإنسان ذاته فهو مركب باعتباره مخلوق على الأقل من جسم ونفس وروح.. وحتى عهد قريب لم يك جسم الإنسان شيئًا مدروسًا بالتفصيل الذى هو عليه الآن – بل كان البعض يحرم تشريحه أو التعرف على تفاصيل تكوينه وتركيباته الداخلية.. ولكن مع التقدم العلمى المضطرد ودراسة جسم الإنسان أكثر وأكثر وجد العلماء أنفسهم أمام أعاجيب معجزة أقربها هؤلاء العلماء معترفين بأنهم أمام جهاز فى غاية الدقة والرقة لا يمكن لعلماء العالم ومخترعيه ولو اجتمعوا معا أن يقلدوه أو ينشئوا مثله.. فإن عملية خلق الإنسان من طين أعجوبة، وفى كل خطوة منها سوف نتوقف ونتأمل فى وجود قوى مذهلة حيوية موجهة من قوة أكثر قوة وذكاء يحركها شىء غامض حكيم لا نخطئ إذا ما قلنا إنه الروح..

وقـد نتصـور ذلك جليًا إذا ما علمنا أن خلق الإنسـان ماديًا يبـدأ من بويضة ملقحة إثـر اجتماع حيوان منوى من الأب مع بويضة مـن الأم، وأن هذه البويضة الملقحة التى لا تكاد ترى تحتوى على ميكروفيلم لذلك الإنسـان، بمعنى أنها تحتوى على ٣٠٠٠٠ وحدة وراثية (جينات) تحدد أوصاف هذا المخلوق الجديد بناء على تسلسـله من آبائه وأجداده السابقين- ويشـارك فى هذه الوحدات كل من الأبوين بالتساوي... ومن الملف للنظر والتأمل هنا أنهما يصنعان شيئًا وهما لا يعرفان أنهما قاما بتلك التجربة العلمية الخطـيرة، وكأن قـوة أخرى بالطبع هى التـى رتبت لهما ذلك، قـوة أعظم وأقدر هى التى رتبت لهما ذلك.. ثم تنقسـم هذه البويضة الملحقة إلى خليتين والخليتان إلى أربع والأربع إلى ثمان.. وهكذا حتى بعد ٤٥ انقسامًا يصبح عدد الخلايا ٢٥ مليار خلية، أنها بالتأكيد القوة الأعظم غير المنظورة التى أحدثت هذا التسلسل المريع..

وتتـوالى الإعجـازات، ها هى ذى الخلايا تصبح متنوعة فـى وظائفها، البعض يذهب ليكون العظام والبعض الآخر للعضلات وتلك للعيون والدم.. وهكذا.. أليس وراء ذلك خلاق عظيم غير مرئى قدير على صنعها هذا التصنيع؟!

بلى وهو الخلاق العظيم سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون..

والأعجـب أيضًا أن كل خلية منها تبـدأ فى عملها المخصص لها كأنها تعرفه من قبل وبـدون عمل أى خطأ.. إنها تنتقل إلى مكانها المخصص لها كأنها ملهمة، والخالق والمدبر لهذا الجسـم يختار أهم وأفضل ١٠ بلايين خلية ليرسمها فى قشرة المخ ليوظفها فى إدارة هذا الجسم.

لقد كان خلق الجنين عملية تجسيد من الطبيعة الأثيرية إلى الطبيعة المادية أى إلى هيئة كيس من اللحم والعظام مر بمراحل عديدة فى خلال فترة الحمل، نطفة فعلقة.. الخ حتى إذا ما رأى نور الأرض سميناه طفلاً، ولا تنتهى قصة حياة الإنسـان بالموت فالله عز وجل وصف حياة الإنسـان الأبدية بحياة ثانية خالدة غير منظورة لنا الآن ذكرها جل وعلا فى قصة خلق الإنسان قال الله تعالى

بسـم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

حقًا لقد كان هناك ولادتان على الأقل الأولى فى الأرض والثانية فى عالم البرزخ، وكان الوالدان فى أولاهما الوسيطين أو الجهاز الذى أتى بالمولود إلى الأرض.

ومن الملفت للنظر والجدير بالذكر فى هذا الخصوص ما أكده العلماء من أن دخول الحيوان المنوى فى البويضة يسبب انفجارًا هائلاً طاقة خلاقة من دلالاته أن معدل النمو فى الرحم أكبر بكثير من معدله بعد الولادة- فلو استمر فى الخارج معدل النمو هذا بعد الولادة كما كان الأمر فى داخل الرحم لأصبح الإنسان أضخم كثيرًا من الفيل.. ففى الرحم يزداد طول الجنين فيصبح بعد أربعة شهور قدر طوله بعد الشهر الأول بمقدار ١٢ مرة، فى حين بعد الولادة يصبح الإنسان بعد عشرين سنة طوله عند الولادة ٥ مرات فقط. وعلى كل فبعد الوفاة تكون الروح أكثر حرية وفاعلية فتستطيع أن تظهر بحجم أكبر لو أرادت وتتطور بسرعة كبيرة وبنسب لا تقارن بها نسب النمو الفيزيقى التى سبق ذكرها فى حالة الجنين سواء كان هذا النمو فى جسدها الأثيرى أم العقلى.. الخ.

إن قوانين الديناميكا الحرارية تؤكد على أن كل شيء فى الكون يميل إلى التهدم والفوضى، وهذا يعنى أن كل عملية تحتاج إلى نظام أو ترتيب عاقل هى عملية غير عادية ومن ورائها قوة خلاقة عظيمة قادرة.

نعم إن الحياة قائمة على عقل الخالق العليم الحكيم العظيم.. أى إنها لم تنشأ من فراغ أو بمجرد الصدفة - وفى ذلك **يقول عالم الوراثة الشهير وادنجتن إن الحياة لا تخلق نفسها إلا إذا أخذت تقذف بعدة أحجار بناء كيفما كان لتكون منها كومة ثم نأمل بعدئذ أنها من نفسها سوف تبنى لك منزلاً.**

إن لكل خلق خطة وظروفًا وضعها ورتبها وهيأ لها مناخها واكتمالها الخالق البارئ المصور البديع فعلى سبيل المثال وكما هو معروف نجح فريق من العلماء فى جامعة بولونيا بإيطاليا فى الستينيات فى جمع البويضة مع الحيوان المنوى فى أنبوبة اختبار أمدوها بالأوكسجين فوجدوا أن الاتحاد يتم كالمعتاد بين أحد الحيوانات المنوية وتلك البويضة وبدأت عملية النمو كما لو كانت فى رحم امرأة وأخذت الصور لذلك التطور خطوة بخطوة. وكانت النتيجة غير مشجعة فبعد مرور ٣٩ يومًا لوحظ أن المخلوق النامى سيتخذ شكلاً وحشيًا... والذى يجرى ترتيبًا على ذلك اليوم هو أن تنقل البويضة الملحقة إلى رحم أى أم لتكمل نموها وتصبح جنينًا عاديًا يولد من الرحم. **أى إن الجنين لا يستطيع إكمال حياته بعيدًا عن أم تحمله وتعطيه من روحها مثلما تعطيه من جسمها.. ففى لحظة الحمل**

الفيزيقى للبويضة تبدأ الروح البسيطة فيها وكذلك الجسم النجمى وبعدئذ يسير الثلاثة سويًا فى النمو بتأثير قوة الروح الخلاقة بإذن ومشيئة الله تعالى.

ويقول الأستاذ الدكتور/ على راضى عالم الفيزياء ورئيس جمعية الأهرام الروحية سابقًا وعضو جمعية البحوث الروحية العالمية بلندن رحمه الله فى كتابه اعرف روحك:

(.. وحقًا لو جئنا بقرد ووضعنا أمامه بضع قطع إلكترونية تصلح لبناء جهاز تليفزيون مثلاً وتركناه ألف عام ليجرب بنفسه بناء ذلك الجهاز لوجدناه يعجز ولن يصل إلى شئ بل ربما يكون قد حطم معظم تلك القطع أو كلها.. ولقد خلق الله هذا القرد قبل البشر بملايين السنين فلم تر له تقدمًا فى أى مجال، ولو لكساء نفسه على الأقل. لم يتطور لكى ينطق بحرف مثلاً. **من هنا نرى معجزة الله فى خلق الإنسان ففى الأشهر القليلة التى يتكون فيها الطفل فى بطن أمه يكون قد سبق خلق كثير من الحيوان التى خلقت أو قيل إنها تطورت بعد ملايين السنين.. إنه لو كان قد بدأ خارج الرحم وتطور من خلية واحدة – على حسب ما يتصورون – لاحتاج إلى ٣ بلايين سنة.. والنتيجة النهائية هى أن الحياة لا تنشئ نفسها فهى كالنار لا تقوم إلا بشعلة والشعلة جاءت من قبل من شعلة أخرى وهكذا حتى تصل فى النهاية إلى مصدرها وخالقها العظيم الله تعالى..).**

ولو تذكرنا أن هناك شبها كبيرا فى شكل الإنسان حين يولد فى هذه الأرض وحين يولد فى العالم الآخر فهو فى كلتا الحالتين يأتى ورأسه فى المقدمة وقدماه فى المؤخرة..

ولو تذكرنا أن هناك شبها عجيبا أيضًا بين الموت والولادة، إذ إن كلا منهما فى الحقيقة ولادة فى عالم مختلف، فكما كان الجسم الأرضى حين ولادته مربوطًا مع الأم بالحبل السري، كذلك الجسم الروحى حين ولادته فى العالم النجمى – موته – يكون مربوطًا مع الأم، أى الجسم الفيزيقى بالحبل الفضي. وفى كلا الحالتين لا تتم الولادة إلا بقطع الحبل الموصل.

ويقول الدكتور على راضى رحمه الله – المرجع السابق – أيضًا فى هذا الخصوص:

(... وكما يخرج الطفل من المشيمة نجد الميت يخرج أيضًا بهالة تشبه المشيمة.

وهناك شبه قوى بين الصورتين – أى الصور التى التقطها علماء علم الروح الحديث فى هذا الخصوص – **وتقول الوسيطة المعروفة برتاهاريس: إن الهالة عند ولادة الطفل تكون أولا هالة فيزيقية ضعيفة ثم بعدها تتكون هالتان الهالة العقلية ثم الهالة الروحية،**

أمـا عنـد الموت فينعكس الحال أى تبدأ الهالات فى التراجع ثم الاضمحلال وهناك عملية انعكاس أخرى يعرفها علماء الأعصاب، فقد قالوا إن الوعى ينتقل عن الجسـم الفيزيفى، آخر ما ينتقل عن طريق البطين الرابع للمخ وهذا البطين هو جزء من جسـم معقد كان هو أول تركيبه جسمية أى فيزيقية تظهر فى الجنين، ومعنى هذا أن الروح عند الموت تتراجع بعكس الطريقة التى جاءت بها عند الولادة فى الأرض..).

ولو تذكرنا أن الإنسان تبدأ حياته فى بطن أمه من بويضة ضعيفة راحت تنقسم وتنقسم بسـرعة ويتضاعـف عـدد خلاياها وتنتظم وتتنـوع – كما تقدم ذكـره – ويولد بها الطفل ويشب ويقوى ويصبح فى عنفوان كيانه وبعدئذ يشيخ فتبدأ هذه الخلايا فى الضعف – فى الانقسام. فى التبديد.. وتبدأ معها الهزيمة.. هزيمة الجسد المادى وضعفه وعودته إلى نفس الموقف الذى بدأ به وهو بويضة فكما بدأ من صفر مادى سوف ينتهى إلى صفر مادى لم يبق منه سوى الروح وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الروم].

لتبين لنا جليًا أنه على رغم أن هذه الآية الكريمة ينصب إعجازها على الجانب المادى للإنسان إلا إنها انتهت بذات الإعجاز فى قوله تعالى **يخلق ما يشاء**.. أى أن بعد هذا كله الله جل وعلا قادر على أن يخلق الإنسـان فيما يشـاء من الصور أو من الهيئات بعد انتهاء دور جسده الترابى الذى تعرض للضعف والقوة – **وإشارة بالغة معجزة إلى أن الموت ما هو إلا انتقال من حياة إلى حياة أخرى..**

ولتبـين لنا أيضًـا جليًا فكـرة انتهاء الدورة والرجـوع إلى الأصل **وسـبحان من أنزل هذا الكلام:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء].